المدرسة و نظام التعليم بالمغرب الأوسط

خلال القرنين 8/8هـ - 14/15م

محمد بوشقيف
أستاذ مساعد بقسم التاريخ وعلم الآثار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة أبي بكر بلقايد
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
bouchekifm@yahoo.fr

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
محمد بوشقيف ،المدرسة ونظام التعليم بالمغرب الأوسط خلال القرنين ٨هـ/ ٩هـ - ١٤م/ ١٥م.- دورية كان التاريخية.- العدد الحادي عشر ؛ مارس ٢٠١١. ص ٥٨ – ٦٢. (www.historicalkan.co.nr)

تقديم

عرف المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتّاسع الهجريين عهدًا حافلاً بالأمجاد في مُختلف المجالات الحضاريّة ، خاصّة في المجال العلمي ، وهذا بعد قيام الدّولة الزيانيّة حيث ازدهرت الحركة العلميّة بتشجيع سلاطين بني زيان للعلم والعُلماء ؛ فبرزت مدينة تلمسان كحاضرة ومركزًا للإشعاع العلمي إلى جانب مُدُن أخرى مثل: وهران ومازونة والجزائر وبجاية ، وأيضًا إنشاؤهم للمراكز التعليميّة ومن بينها المدارس الّتي قاموا بإستدعاء أبرز العُلماء للتّدريس فيها ، هؤلاء الّذين سوف يُوجهون نمط التّعليم بالمغرب الأوسط الّذي سنتطرّق إليه فيما بعد.

إنّ تاريخ التّعليم في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط ، إرتبط إرتباطًا وثيقًا بالمسجد[١] قبل تأسيس المدرسة حيث قامت فيه حلقات الدّرس منذ أن نشا لأوّل مرّة ، وإستمرّت لقرون ، وفي شتّى أنحاء العالم الإسلامي دون توقّف[٢] ، والسّبب الّذي جعل المسجد يلعب هذا الدّور التربوي هو أنّ الدراسات الأولى كانت تهتم بتعليم وتوضيح تعاليم الإسلام ، وكذا إتخاذه مكانًا لدراسة وحفظ القرآن والفقه والإشتغال بالآداب[٣] . ثمّ أسّس إلى جانب المسجد مركزًا تعليميًا آخر خصص لتعليم الصِبيان عرّف بالكُتّاب[٤] .

والمغرب الأوسط كغيره من أمصار المغرب الإسلامي ، لم يخرج عن هذا الوضع التعليمي العام إلى أن ظهرت المدرسة ، الّتي يعود السّبب الرئيسي في ظهورها إلى كثرة العلوم المُتداولة في المسجد وتشعّب مهامه من اجتماعية وسياسيّة فتم إنشاؤها لتقوم بالمهام التعليميّة.

وقد عرف هذا النّوع من المرافق التعليميّة لأوّل مرّة في مدينة نيسابور ، وذلك بتشييد المدرسة البيهقية في أوائل القرن ٥هـ/١١م. لكن مع هذا كلّه أجمعت الدّراسات التاريخيّة على أنّ الإنشاء الحقيقي للمدارس وإهتمام الدّولة بها ، لم يكن إلاّ على يد الوزير السلجوقي نظام الملك (٤٥٦-٤٨٥هـ/١٠٦٤-١٠٩٢م)[٥] الّذي بنى المدرسة النظاميّة ببغداد[٦] ، كما بنى عدّة مدارس في كلّ من البصرة والموصل وبلخ وهرات... وعُرِفت جميعها بالنظامية لأنّها أوّل مدرسة قُرِّرَ فيها للفُقهاء رواتب وأُجور معلومة[٧] . وبعد هذا انتشرت المدارس في كلّ من بلاد الشام ومصر ثمّ انتقلت إلى بلاد المغرب بداية من القرن ٧هـ/١٣م ، حيث سجلت كتب التاريخ بأن السلطان الحفصي أبو زكرياء (٦٤٧هـ-١٢٤٩م)[٧] قد أنشأ أوّل مدرسة بالمغرب الأدنى عرفت بالمدرسة الشّماعية والّتي سميت فيما بعد بأم المدارس ، وكان ذلك فيما بين سنتي (٦٦٣-٦٧٤هـ/١٢٣٥-١٢٤٩م)[٨] . ثمّ إنتشرت حركة تأسيس المدارس إلى المغرب الأقصى ، فتمّ بناء مدرسة الصفارين في عهد السُلطان يعقوب بن عبد الحق المريني سنة ٦٧٥هـ[٩] .

أمّا في المغرب الأوسط (الجزائر) فقد تأخّر ظُهور المدرسة إلى غاية القرن ٨هـ/١٤م ، حين قلد بنو زيان سلاطين بني مرين في تشييد المدارس والاعتناء بها ، والإشراف الشّخصي عليها كتعيين المدرسين فيها[١٠] . كما سعى بنو زيان من وراء بناء المدارس في مختلف مدن المغرب الأوسط إلى نشر التّعليم والثقافة من جهة ، وتوجيه الرعية من أجل وحدة السياسة المذهبية التي كانوا يسيرون عليها والمتمثلة في نصرة المذهب المالكي من جهة أخرى ، لدى كانت المدارس إحدى الوسائل لتحقيق هذه الغاية[١١] . و نتيجة لهذا تأسّست عدّة مدارس في

المغرب الأوسط[١٢]، حملت على عاتقها لواء نشر التّعليم في أرجائه و من أهمها:

مدرسة ابني الإمام: هي أوّل مدرسة أسّسها السُلطان الزياني أبو حمو موسى الأوّل بالمغرب الأوسط في مدينة تلمسان ، وعيّن للتّدريس فيها ابني الإمام أبي زيد عبد الرّحمن (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) وأبي موسى عيسى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) فصارت تُعرفُ بإسمها. كما عُرفت أيضًا بإسم المدرسة القديمة. وكان موقعها بالقُربِ من باب كشوطة غرب مدينة تلمسان[١٣].

المدرسة التاشفنيّة: هي أهم مدرسة بالمغرب الأوسط ، أسّسها السُلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأوّل لفائدة العالم الكبير أبي موسى عمران المشّدالي الزواوي (ت ٧٤٥هـ/١٣٤٥م) أعْرَفَ أهل عصره بمذهب الإمام مالك[١٤]، وجهّز أبو تاشفين لبنائها أمهر البنائين ، وكان يوم إفتتاحها يومًا مشهودًا حضره السُلطان وأعيان ومشايخ تلمسان وأُدبائها. وظلّت هذه المدرسة تؤدّي وظيفتها التعليميّة طيلة العهد الزياني[١٥]. إلى أن هُدّمت عام ١٨٧٥م ، من قِبل سُلطات الإحتلال الفرنسي.

المدرسة اليعقوبيّة: شيّد هذه المدرسة السُلطان أبو حمو موسى الثاني ، و سمّاها اليعقوبيّة تخليدًا لذكرى والده أبي يعقوب يوسف ، الّذي كان حاكمًا بمدينة الجزائر والمتوفّى سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م ، ودام بناؤها حوالي سنة و نصف ، وعُيّن للتدريس فيها العالم الجليل أبو عبد الله الشريف (ت ٧٧١هـ/١٣٧٠م). كما أسّس إلى جانبها زاوية ومقبرة مخصّصة لآل زيان[١٦].

مدرسة سيدي أبي مدين شعيب: أنشأ هذه المدرسة السُلطان المريني أبو الحسن عام ٧٣٧هـ/١٣٣٧م بعد إخضاعه لتلمسان وبناها بقرية العُبّاد بالقُربِ من جامع أبي مدين شعيب. وعُرِفت هذه المدرسة بفنّها المعماري ذي الطّابع العربي الإسلامي ، وما زالت قائمة إلى يومنا هذا تتحدّى الزمن وتشهد على مدى الإزدهار المعماري المريني بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط[١٧].

مدرسة منشار الجلد: إنّ تاريخ و مكان إنشاء هذه المدرسة مجهول ، و لكن يرجح بأنّها كانت بالقُرب من مسجد إبن البناء بتلمسان[١٨].

مدرسة الحسن بن مخلوف الراشدي أبركان: أمر ببنائها السُلطان أبو العبّاس أحمد العاقل فيما بين عامي ٨٣٤-٨٦٥هـ/١٤٣١-١٤٦٢م. وموقعها قُرب مسجد سيدي أبي الحسن بن مخلوف[١٩].

مدرسة مدينة الجزائر: أسّسها السُلطان المريني أبو الحسن و هي عِبارة عن مكان لإيواء الطّلبة حيث يقيمون فيه مدّة دِراستهم ، و يؤخذون مُختلف العُلوم عن أساتذتها[٢٠]. كما كان بمدينة الجزائر مدارس أُخرى خلال العهد الزياني كالمدرسة العنانية و مدرسة ابن السُلطان[٢١].

مدارس وهران: إنفرد بذكرها حسن الوزّان دون التطرّق إليها بالتفصيل[٢٢].

مدرسة مازونة: وكانت نموذجًا مصغّرًا عن مدارس تلمسان[٢٣].

هذا إضافة إلى مدارس أُخرى كانت مُنتشرة في مُدن المغرب الأوسط خلال هذه الفترة ، ونظرًا لعدم شُهرتها كمدارس الحاضرة لم تتطرّق إليها كُتُب التّاريخ[٢٤].

ومن أجل أن تؤدّي المدرسة دورها التعليمي على أحسن وجه خلال هذا العهد وُفِرت لها الإمكانيات فإشتملت على قاعات لمجالس المُحاضرات وأماكن لإقامة الطّلبة وعيّن فيها المُدرسون والمُشرفون على المكتبات المُلحقة بها[٢٥]. كما وُقّفت عليها عدّة مصادر ماليّة من قِبل السلاطين وميسوري الحال من أهل تلمسان وذلك بهدف ضمان استمراريّة جراياتها المُوجّهة للطّلبة والمعلمين ، وحبست الكُتُب والمصاحف في مكتباتها خدمة لروادها[٢٦]. لكن الملفت للإنتباه أنّ حركة إنشاء المدارس بالمغرب الأوسط واجهها بعض العُلماء بالإنتقاد وعلى رأسهم شيخ العُلماء أبي عبد الله الآبلي[٢٧]، الّذي رأى في المدرسة مُجرّد إغراءات تُقدّمُها الدّولة للطّلبة ورَجال العلم حتّى يتسنّى تبعيتهم لها[٢٨].

إلى جانب هذا لم يهتم بنو زيان بإنشاء المراكز التعليميّة فقط ، بل أعطوا عناية بالغة للتّعليم و رِجاله ، لأنّه يعدّ من العوامل الأساسيّة المُساهمة في الحركة العلمية في أي مصر من الأمصار. كما يعتبر مرآة عاكسة للإزدهار الثقافي والعلمي. وسوف نُسلّط الضوء على نظام التّعليم الّذي كان متّبعًا في المدرسة الزيانيّة من خلال إبراز سنده ومراحله و طُرق تدريسه وما يلحقها من الرحلة العلميّة من أجل التحصيل والإجازة.

سند التّعليم بالمغرب الأوسط

لقد عرفت أوضاع التعليم في الغرب الإسلامي تباينًا واضحًا ، فإنقسمت إلى من حافظ على سند تعليمه كتونس و تلمسان ومن إنقطع سند تعليمه كالأندلس وفاس هذا ما أثّر على الحركة التعليميّة[٢٩]. أمّا بالنّسبة لحاضرتي العلم والعُلماء بالمغرب الأوسط بجاية وتلمسان ، فقد حافظتا على سند التّعليم فيهما ، فمن بجاية إرتحل أبو علي ناصر الدين المشدّالي إلى المشرق[٣٠] في المائة السّابعة ، فأدرك هناك عُلماء أجلاء وأخذ عنهم ، فحذق في العلوم العقليّة والنقلية ثمّ رجع إلى المغرب وهو يحمل علمًا وافرًا وتعليمًا رصينًا ونزل بجاية فإتّصل سند العِلم لدى طلبتها[٣١].

كما حافظت تلمسان على سند تعليمها ، عن طريق عالمها أبو عيسى موسى بن الإمام الّذي تتلمذ على مشايخ تونس الّتي كان سند التعليم فيها متّصلا بالمشرق[٣٢]. هذا وكان لنزول عمران المشدالي بتلمسان وإقامته فيها دورًا بالغًا في بث طريقته في التّعليم[٣٣]. كما رحل فيما بعد عالم تلمسان أبو عبد الله الشريف إلى تونس ، فلقي أبا عبد الله بن عبد السلام حيث حضر مجلسه وإستفاد منه حتّى كملت طريقة التّعليم وملكة التلقي لأبي عبد الله الشريف وسعيد العُقباني[٣٤]، وبانقضاء القرن التّاسع الهجري ، فَقَدَ التّعليم في المغرب الأوسط سنده نتيجة توقّف الرحلة العلميّة بسبب الأخطار الّتي بدأت تخيط بهذا القطر خاصّة الضّعف السياسي الّذي إنتابه وكذا التحرّش الإسباني على سواحله.

مراحل التعليم بالمغرب الأوسط

مرحلة التّعليم الابتدائي: كان الهدف المتوخّى من التّعليم في هذه المرحلة هو تحفيظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللّغة وإكساب الخط[٣٥]. وقد تمّ مزاولة هذا التّعليم في الكتاتيب حيث أنّ الصبيان يدخلون الكتّاب في سنّ معيّنة تتراوح ما بين الخامسة والسّابعة ، والمؤدب يكون حريصًا كلّ الحِرص على تحفيظ هؤلاء القرآن و التلاوة الحسنة ، ثمّ يتفقد حفظهم في أيام معيّنة كيوم الأربعاء مساءًا والخميس[٣٦]. هذا إضافة إلى تعليمهم أمور العبادة مثل كيفية الوُضوء والصلاة ، والتشديد عليهم من أجل إستيعابها[٣٧].

وقد إستحسن عبد الرحمن ابن خلدون هذه الطريقة في التّعليم الابتدائي وأثنى عليها حيث رأى أنّ تعلم القرآن وحفظه هو أصل

التّعليم ، وهو أوّل ما يجب تعلّمه للصبيان لأنّ به يبنى ما يحصل بعد ذلك من الملكات حسب تعبيره[٣٨]. وبيّن أنّه نتيجة لاقتصار أهل المغرب على تعليم أولادهم القرآن وقراءاته المختلفة والكتابة أحيانًا جعلهم يكونون أقوى على حفظه وإدراك رسمه ، من سواهم عن بقية الأمصار[٣٩] وفي هذا الباب حذّر العُلماء والمعلمين من مُعاملة الصبيان بالعنف وأخذهم بالشدّة ، لكي لا يعود ذلك سلبًا على تحصيلهم المعرفي[٤٠] وتنفيرهم من الكُتّاب فيُضيّعون بذلك فرصة حفظ القرآن في هذه الفترة ، الّتي يكونون فيها أكثر تقبّلاً لإستقبال المعارف وحفظها وترسيخها في أذهانهم[٤١] ولما يدرك الصبي سن البُلوغ يُزاول تعليمه في مُستوى أرقى عرف بالتّعليم الإحترافي.

التعليم الاحترافي: كانت دُروس هذه المرحلة تتم في المساجد الجامعة كالجامع الأعظم بتلمسان ، وندرومة ، والجزائر[٤٢] والمدارس المشهورة ، فبعد تمكّن الطلاّب من حفظ القرآن الكريم والإلمام بمبادئ المواد الأساسيّة الأُخرى ، كالخط والكتابة واللّغة وعلم القراءات في المرحلة السّابقة نجدهم في هذه المرحلة ينكبّون على دراسة مختلف التخصّصات العلميّة ، وكذا أصناف العُلوم المعروفة آنذاك فيطرقون باب العلوم الدينيّة[٤٣] ، خاصّة الإحاطة بعلم تفسير القرآن والإطلاع على علومه ، من قراءات ورسم وضبط ؛ إضافة إلى معرفة علوم الحديث والفقه خاصّة المالكي إنطلاقًا من المُختصرات مثل الرسالة ومختصر خليل ، إلى المدونة لإبن سحنون[٤٤] ، وعلم التوحيد كمؤلفات الأشعري والجويني[٤٥] ، وعلم الفرائض مقرونا بعلم الحساب[٤٦] ثمّ علوم اللّغة العربيّة وآدابها وغيرها من العلوم بمزيد من التعمّق والتحليل[٤٧].

وكان يقوم بتدريس الطّلبة في هذه المرحلة أستاذة مُتخصّصون ومشهود لهم بالتفوّق في مختلف المواد العلميّة ، سواءً ، النقليّة أو العقلية ، وقد أوردت كتب التاريخ أن سلاطين بني زيان كانوا يشرفون بأنفسهم على تعيين الأساتذة في مدارس دولتهم ، ويتحمّلون عبء دفع أجورهم ، وحضور مجالس دروسهم[٤٨].

طرق إلقاء الدّرس

عرفت طرق إلقاء الدّرس في المدرسة الزيانية تباينًا من مرحلة إلى أُخرى ومن عالم إلى آخر ، ويمكن أن نُلَخِص هذه الطّرق السائدة خلال الفترة الّتي نحن بصدد تسليط الضوء عليها إلى ثلاث طرق هي:

طريقة الإلقاء والإملاء

سادت هذه الطريقة في الكُتاب حيث أنّ معلم الصبيان يجلس في وسط حلقتهم ويملي عليهم شيئًا من القرآن الكريم ، وهم يكتبون على لوح خشبي مصقول بواسطة الدواة والقلم ، ثمّ يقوم بتحفيظهم سوَرًا من القرآن ، وعند إكمال حفظ السورة يُمْتَحَنُ الصبي فيما هو معروف لحدّ الآن بالختمة ، وبعدها يُخيّر الصبي إمّا بمُواصلة طلب العلم أو الإنقطاع عنه[٤٩].

طريقة إختيار كتاب معيّن من العلوم و شرحه

كانت هذه الطريقة تسُود في مرحلة التعليم الإحترافي ، وبالأخص في المدرسة حيث يقوم طالب من الطلاب بقراءة نص من الكتب المشهورة ، وبعد ذلك يقوم الأستاذ بتولي عملية الشّرح و تبسيط ما ورد من المفردات الصّعبة[٥٠].

طريقة المحاورة

عُرفت هذه الطريقة ببلاد المغرب الأوسط بعد إنتقالها من تونس من قبل العالمين الكبيرين ابني الإمام ، وكذا عمران المشدالي وترتكز هذه الطريقة على التحليل والتعليل والمُحاورة وإبتعادها عن أساليب الحفظ والاستظهار ،[٥١] وبفضلها كانت مشيخة تلمسان تعتمد على البحث وإعمال الفكر في القضايا العلميّة ، خاصّة في العلوم العقليّة كالحساب والهندسة والمنطق. وقد شكّل الطّالب في هذه الطّريقة النواة المحورية الّتي يعوّل عليها في الوُصول إلى حلّ هذه القضايا في حين يكتفي الشيخ بتوجيه المناظرة وإدارتها[٥٢].

الرحلة العلميّة

شدَّ طلاب المغرب الأوسط خلال القرنين (٨/٩ هـ) كغيرهم من طلاب الأمصار الأخرى الرّحال لطلب العلم إلى الحواضر الإسلامية العلميّة الكُبرى آنذاك سواءً منها المغربيّة كفرناطة ، وفاس ، وتونس أو المشرقيّة كالقاهرة ، وبغداد ، والمدينة المُنوّرة ، بهدف توسيع معارفهم وتنقيحها وكذا لقاء العلماء المشهورين بهذه الحواضر ، هذا وعدّت الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ إثراء وكمال في التعليم[٥٣].

وقد عقد ابن خلدون فصلاً كاملاً في مُقدمته المشهورة يبيّن فيه أهميّة الرحلة العلمية في تكوين طالب العلم ، حيث قال: "... إنّ البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علمًا وتعليمًا وإلقاءً وتارة محاكاة وتلقينًا بالمُباشرة ، إلاّ أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشّدُ إستحكامًا وأقوى رسوخًا. فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها... فالرحلة لابدّ منها في طلب العلم ، لإكتساب الفوائد والكمال للقاء المشايخ ومُباشرة الرجال..."[٥٤].

وتضافرت مجموعة من العوامل خلال القرنين (٨ - ٩هـ) في نشاط الرحلة العلميّة ، وتمثّلت هذه العوامل في حريّة التنقّل بين مُختلف أقطار المغرب والأندلس والمشرق ، بالرّغم من الإنقسام السياسي الّذي ميّز هذه الفترة في العالم الإسلامي. وكذا حفاوة الإستقبال الّذي كان يُلاقيه طُلاّب العلم حيثما حلّوا[٥٥] وذلك بتوفير أماكن الإقامة والتكفّل بحاجياتهم تطبيقًا لما حث عليه ديننا الحنيف من الإهتمام بطالب العلم[٥٦]. إضافة إلى ترحيب العلماء بالطلاّب الوافدين عليهم ، مثلما فعل إبن مرزوق الحفيد عُمدة علم الحديث مع القلصادي أثناء رحلته العلمية إلى تلمسان[٥٧]. كما أنّ سبب الرحلة خلال هذه الفترة يُعزّى إلى عاملين أساسيين ، شدّد العلماء على كلّ طالب علم أن يلمّ بهما وهما: ضمان سلامة المنهج النقلي وذلك بتصحيح المتون المروية ووصل أسانيدها بمؤلفيها حتّى تكون واضحة وصالحة للبحث والدّرس وأخذ الأحكام منها[٥٨] ، أما العامل الثاني قام على تصحيح منهج التّفكير وبنائه على قواعد ثابتة[٥٩].

هذا إضافة إلى ما ساهمت فيه الرحلة العلميّة في توطيد الروابط الثقافيّة لبلاد المغرب الأوسط مع دول المغرب والأندلس وبلاد المشرق[٦٠] ، ويظهر ذلك من خلال العُلماء وطلاب العلم ، الّذين زاروا المغرب الأوسط وعُلمائه وطُلابه الّذين رحلوا للاستزادة في طلب العلم من مُدن هذه الأمصار. إلاّ أنّ الرحلة العلميّة إنتابها الفُتور ، خاصّة بعد النصف الثاني من القرن ٩هـ/١٥م ببلاد المغرب الأوسط ، ومردُّ ذلك دعوة العُلماء إلى الجهاد وإيثاره على الحج وردّ غارات النصارى الإسبان على سواحل بلاد المغرب الإسلامي.

الإجازة العلميّة

إنّ الهدف الأسمى الّذي كان يسعى من ورائه طُلاّب العلم من خلال الرحلة إضافة لما سبق ذكره هو الحصول على الإجازات في مختلف العلوم ، ومن أشهر العُلماء المشهود لهم بالتفوق فيها لذا كان عليهم زيارة المراكز العلمية المشهورة آنذاك[٦٢] ، بهدف الإتصال بكبار العُلماء والأخذ عنهم والحصول على الإجازة والرواية منهم ، وذلك حرصًا على السند العلمي الّذي بفضله يصل الطّالب بمؤلفي كُتُب العلوم خاصّة علم الحديث[٦٣] الّذي إرتبطت به الإجازة العلميّة إرتباطًا وثيقًا لأهميته في حفظ رواياته الّتي بفضلها يتم هذا العلم ويكتمل وبدونها يكون ناقصًا لا محالة[٦٤] . ولهذا شدّد عُلماء الحديث في منح الإجازة إلاّ للطالب النجيب ، والّذي ألمّ بأسانيد كُتب هذا العلم وحفظ رواياته[٦٥] ، ومن أجل هذه المهمّة النبيلة رحل الكثير من عُلماء وطُلاّب المغرب الأوسط خلال القرنين ٨ - ٩ هـ إلى الحواضر العلميّة الإسلاميّة آنذاك للحُصول على الإجازة في مُختلف العُلوم الدينيّة وخاصّة علم الحديث من قِبل علمائه ، فهذا ابن مرزوق ينزل القاهرة ويلتقي بالعالم المحدّث ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الّذي عُدَّ عُمدة علم الحديث في مصر خلال القرن التّاسع هجري والّذي أجازه[٦٦] ، كما كان لعالم مدينة الجزائر ووليها عبد الرحمن الثعالبي (ت٨٧٥) الّذي برع في علم الحديث أيضًا قد زار مُدُن المشرق من أجل طلب الإجازة في هذا العلم وعند مُروره بتونس أجاز هو الآخر بعض طُلاّبها[٦٧] ، لكن ما يُؤسف له أنّ الإجازة العلميّة فقدت الكثير من أهميتها خاصّة في أواخر القرن ٩هـ/١٥م بالمغرب الأوسط و الفترة الّتي تلتها وذلك بسبب إنقطاع الرحلة العلميّة وإكتفاء الطالب بطلب الإجازة عن طريق المكاتبة لا بزيارة الشيوخ و العُلماء ومُلازمتهم والاستماع إليهم ، كما كان الحال في السّابق[٦٨] ، وبالتّالي أدّى هذا الأمر إلى إنقطاع السند العلمي في مختلف العلوم ، وأصبحت الإجازة تمنح نتيجة إطراء و مدح المجاز لمجيزه[٦٩] .

هذا وما يمكن أن نخلص إليه هو أن المغرب الأوسط خلال القرن ٨ - ٩هـ أُشْتُهِرَ بجيلٌ من العُلماء ساهموا في دفع الحركة العلميّة إلى الأمام ، نذكر منهم: أبو موسى عيسى (ت ٧٤٩هـ)، و أبو موسى بن يوسف المشدالي(٧٤٥)، وأبو عبد الله الشريف التلمساني (٧١٠ - ٧٧١هـ) الّذي عدّ واحدًا من أشهر مدرسي تلمسان[٧٠] ، أمّا من عُرِفَ في القرن التّاسع فنذكر منهم ابن مرزوق الحفيد (ت ٨٧٥ هـ)، وأبو عبد الله التنسي (ت ٨٩٩هـ) وكذا أحمد بن يحي الونشريسي (٩٠٥هـ)، وعبد الكريم المغيلي(ت ٩٠٩هـ) وكلّهم ساهموا مُساهمة فعّالة في إثراء حقل العُلوم بالمغرب الأوسط وكتب التاريخ والتراجم شاهدة على ذلك.

الهوامش:

١- أحمد شلبي: تاريخ التربيّة الإسلاميّة ، مكتبة النهضة المصرية ، دار الإتحاد العربي للطباعة ، مصر ، الطّبعة الخامسة ١٩٧٦ ، ص ١٠٢.

٢- نفسه ، ص ١٠٢.

٣- محمّد منير موسى: التربيّة الإسلاميّة أصولها و تطوّرها في البلاد العربيّة ، نشر عالم الكتب ، القاهرة ، طبعة ١٩٨٣ ، ص ٢٢١.

٤- هو أبو الحسن بن علي بن إسحاق الملقّب بنظام الملك و المتوفّى سنة ٤٨٥هـ/١١٩٢م ، كان محبًا للعلماء ورجال التصوّف ، وبنى المدارس والمساجد ببغداد ، عنه انظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣١٠هـ، ج١ ، ص ١٤٣ — ١٤٤.

٥- تقي الدين بن زيد الخزاعي: تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد ، تحقيق: طه الولي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٩٨١ ، ص ١٩٦ — ١٩٧.

٦- المقريزي: كتاب الخطط ، مكتبة الثقافة الدينيّة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٧ ، ج ٢ ، ص ١٦٣.

٧- عنه انظر: الزركشي: تاريخ الدولتين ، تحقيق و تعليق: محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ط ٢ ، ١٩٦٦ ، ص ٢٣ — ٣٢.

٨- عنها انظر: الزركشي: المصدر نفسه ، ص ٣٣ - الرصاع: فهرسة الرصاع ، المطبعة العتيقة تونس١٩٦٩ ، ص ١٤٢ - رحلة القلصادي ، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٧٨ ، ص ١١٥ - الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٣ ج٨، ص ١٦٢ - ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٦٧ ، ص ١٣٤.

٩- عبد الحق بن إسماعيل البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللّطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد أعراب ، ط ٢ ، المطبعة الملكية ، الرباط ١٩٩٣ ، ص ١١١ ؛ محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع و الثقافة بالمغرب الوسيط دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٨٧ ، ص ٧٢- ٧٣.

١٠- عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني ، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعية ، الجزائر ٢٠٠٢ ، ج٢ ، ص ٣٢٥.

١١- المرجع نفسه: ج ٢ ، ص ٣٢٥ — ٣٢٦.

١٢- حسن الوزان: وصف إفريقيا ، ترجمة ، محمّد حجي و محمد الأخضر ، طبع الشركة المغربيّة للناشرين المتحدين و دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٣ ، ج ٢ ، ص ١٩ — ٣٠.

١٣- عن هذه المدرسة انظر: يحي بن خلدون: بغية الرواد ، تح و تعليق عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، ١٩٨١ ، ج ١ ، ص ١٣٠ - التنسي: تاريخ بني زيان ، تحقيق: محمد بوعياد ، المكتبة الوطنية ١٩٨٥ ، ص ١٣٩ ؛

William et Georges (Marçais): les monuments Arabes de Tlemcen, librairie Thorin, Paris 1903, p 185.

١٤- التنسي: المصدر السّابق ، ص ١٤١ - عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الثاني وحياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨٣ ، ص ١٦١ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٢.

١٥- التنسي: المصدر السابق ، ص ١٤١.

١٦- عنها انظر: يحي بن خلدون: المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٣ - التنسي: المصدر السابق ، ص ٢٧٦ ، القلصادي: المصدر السابق ، ص ١٠٤- الونشريسي: المعيار ، ج٣، ص ١٧٥ ، عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٤ ؛

(W) et (G) marçais, op cit, p 117

١٧- ابن مرزوق الخطيب: المسند الصحيح الحسن ، تح: ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨١ ، ص ٤٠٦ - عبد الحميد حاجيات ، المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٩ ؛ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٣ ؛

marçais(G):Tlemcen, édition de tell, Blida,p 2003

١٨- ابن مريم: البستان تح ، محمد بن أبي شنب ، عبد الرحمن طالب ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٨٦ ، ص ٢٣٠ — ٢٧٥.
١٩- التنسي: المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ، ابن مريم ، المصدر السابق ، ص ٢٣٠ — ٢٤٠.
٢٠- مفدي زكريا: النشاط العقلي والتقدّم الحضاري للجزائر ، مجلّة الأصالة ، العدد ٢٦ ، السنة ١٩٧٥ ، ص ١٦٦.
٢١- كورين شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ١٥١٠ — ١٥٤١ ، ترجمة جمال حمادنة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩١ ، ص ٨.
٢٢- حسن الوزان: المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠.
٢٣- حمد بوشقيف: العلوم الدينية ببلاد المغرب الأوسط خلال القرن ٩ هـ/١٥م ، مذكرة ماجستير جامعة وهران ، قسم التاريخ ٢٠٠٤ ، ص ٥٣.
٢٤- التنسي: المصدر السابق ، ص ٢٤٨.
٢٥- عاشور بوشامة: علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب و الأندلس ، رسالة دكتوراه الحلقة
٢٦- الثالثة ، المعهد الوطني للدراسات التاريخية ، بجامعة الجزائر ١٩٨٦ ، ص ٤١٤.
٢٧- ابن مرزوق الخطيب: المصدر السابق ، ص ٥٥.
٢٨- ابن مرزوق الخطيب: المصدر السابق ، ص ٥٥ ؛ أحمد بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، تح: علي عمر مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٤ ، مج ، ح ، ص ٦٦.
٢٩- أحمد بابا التنبكتي: المصدر نفسه ، ص ٦٦.
٣٠- ابن خلدون: المقدمة ، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، المطبعة الأولى ٢٠٠٥ ، ص ٤٥٠-٤٥١.
٣١- نفسه ، ص ٤٥٠.
٣٢- نفسه ، ص ٤٥٠.
٣٣- ابن مرزوق الخطيب: المصدر السابق ، ص ٢٦٥ — ٢٦٦.
٣٤- ابن خلدون: المصدر السابق ، ص ٤٥٠.
٣٥- المقري: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ضبط و تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، طبع صندوق إحياء التراث الإسلامي ، المغرب ، الإمارات ، ١٩٨٠ ، ج ٣ ، ص ٢٥.
٣٦- ابن خلدون: المصدر السابق ، ص ٦٠٢ — ٦٠٣.
٣٧- نفسه: ص ٦٠٢ ، عبد الرحمن بالأعرج: العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان و المماليك ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ٢٠٠٨ ، ص ٤١.
٣٨- ابن عباد الرندي: الرسائل الصغرى ، تح: الأب بولس يوحنا اليسوعي ، دار المشرق ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١١٦ ، ابن سحنون ، آداب المعلمين ص ٤٥. القابسي الرسالة المفضلة ، دراسة وتحقيق ، أحمد خالد ، الشركة التونسية ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠ — ٤٠.
٣٩- ابن خلدون: المصدر السابق ، ص ٦٠٣.
٤٠- ابن خلدون: المصدر نفسه ، ص ٦٠٣.
٤١- ابن خلدون: المصدر نفسه ، ص ٦٠٤ — ٦٠٥ ، ابن سحنون محمد: كتاب آداب المعلمين ، تقديم وتحقيق محمود عبد المولى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، الجزائر ، ١٩٨١ ، ص ٨٨ — ٩٣ ، ابن مريم: المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، القابسي أبو الحسن: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ، تحقيق أحمد خالد ، الشركة التونسية للتوزيع ، ط ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٣٣.
٤٢- ابن خلدون: المصدر السابق ، ٦٠٤ — ٦٠٥ ، القابسي: المصدر السابق ، ص ٣٣ ؛ محمد بوشقيف: المرجع نفسه ، ص ٦٣.
٤٣- عبد الحميد حاجيات: الحياة الفكرية في عهد بني زيان ، مجلة الأصالة العدد ٢٦ ، السنة ١٩٧٥ ، ص ١٣٨.
٤٤- محمد بوشقيف: المرجع السابق ، ص ٦٣.
٤٥- عبد المجيد مزيان: الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار ، مجلة الثقافة ، عدد ٩٠ ، السنة الخامسة عشر ، ١٩٨٨ ، ص ٤٢.
٤٦- عبد المجيد مزيان: المقال السابق ، ص ٤٢.
٤٧- عبد الحميد حاجيات: المقال السابق ، ص ١٣٩ ؛ محمد بوشقيف: المرجع السابق ، ص ٧٣-١٠٠.
٤٨- عبد الحميد حاجيات: المقال السابق ، ص ١٣٨.
٤٩- التنسي: المصدر السابق ، ص ١٣٨.
٥٠- لخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ جامعة تلمسان ٢٠٠٥ ، ص ٩٧ ، عبد الرحمن بالأعرج ، المرجع السابق ،ص ٤٢.
٥١- اسكان حسن:جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق٧هـ/١٣م إلى ق٩هـ/١٥م ،رسالة لنيل ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، جامعة محمد الخامي ، كلية الأداب والعلوم الانسانية ، الرباط ١٩٨٧-١٩٨٨ ، ص ١١٤.
٥٢- ابن خلدون: المقدمة ، ص ٤٥٠.
٥٣- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٣.
٥٤- ابن خلدون: المقدمة ، ص ٦٠٥.
٥٥- ابن خلدون: المقدمة ، ص ٦٠٥.
٥٦- عاشور بوشامة: المرجع السابق ، ص ٤٦٦.
٥٧- عاشور بوشامة: المرجع السابق ، ص ٤٦٦.
٥٨- القلصادي: المصدر السابق ، ص ٩٦ — ٩٧.
٥٩- القلصادي: المصدر السابق ، مقدمة المحقق ، ص ٦٢.
٦٠- القاضي عياض: ترتيب المدارك ، مقدمة المحقق ، ص ٢٧.
٦١- عبد الرحمن بالأعرج: المرجع السابق ، ص ١٥٨ — ١٦٠.
٦٢- القلصادي: المصدر السابق ، ص ٦٦.
٦٣- القلصادي: المصدر السابق ، ص ٦٦.
٦٤- القلصادي: المصدر السابق ، مقدمة المحقق ، ص ٥٩.
٦٥- يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب ، دار لسان العرب ، بيروت ، ج ١ ، ص ١٣٠.
٦٦- القسطلاني: السعي الحثيث إلى جمع فوائد علم الحديث ، تقديم و تحقيق: بشير ضيف ، ديوان المطبوعات الجزائر ، ١٩٩١ ، ص ٣٧.
٦٧- السخاوي شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة ، (د.ت) ، ج ٧ ، ص ٥٠.
٦٨- عبد الرزاق قيسوم: عبد الرحمن الثعالبي و التصوف ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر بدون تاريخ ، ص ٢٩ — ٣٨.
٦٩- الروداني أحمد بن سليمان: صلة الخلف بموصل السلف ، تحقيق محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٣٠.
٧٠- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في حال من ادعى العلم و الولاية ، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٨٧ ، ص ٢٩-٩٣ ؛ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ج ٢ ، ص ٤٢.
٧١- ابن خلدون: المقدمة ، ص ٦٠٢.

الأستاذ محمد بوشقيف في سطور:

بكالوريا: آداب و عُلوم إنسانيّة دورة جوان ١٩٩٤. ليسانس : تاريخ — معهد التاريخ — جامعة السانية — وهران دورة جوان ١٩٩٨ بتقدير حسن وبتفوق على مُستوى الدُفعة. ماجستير : تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط ٢٠٠٤ معهد التاريخ - جامعة السانية — وهران. دكتوراه: تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط الموسومة "بتطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن و التّاسع (١٤-١٥م) (طور الإنجاز). له عدد من المقالات العلمية المنشورة ، شارك بمداخلات في عدة ملتقيات وندوات علمية وثقافية.